مقدمة

شهدت حلب في القرن الرابع للهجرة في عهد سيف الدولة نهضة علمية وأدبية زاهرة ، وأصبح بلاط الأمير الحمداني مثابة العلماء، ومستراد الأدباء، ومنتدى الحكماء ، ومقصد الشعراء الذين وفدوا من شتى الأمصار ومختلف الأقطار .

هذا بالإضافة إلى أن الأمير ذاد عن حمى الوطن وحمى الديار وتصدى للزحف الرومي في أحرج اللحظات التاريخية التي شغل فيها الحكام بالتطاحن على الملك فكان سيف الدولة هو البطل المنقذ الذي قاد المسلمين من نصر إلى نصر ومن ظفر إلى ظفر . وكان الشعر على موعد مع هذا الأمير فغنى أعذب ألحانه وخلد مآثره وسيرته وبطولاته وتضحياته .

ولقد بنى هذا الفتى العربي دعائم مجده على عاملين أساسيين هما : مقارعة الدولة البيزنطية ومنازعتها الحياة ، والعناية بالعلم والأدب وتشجيع العلماء والأدباء .

وكان الأمير الحمداني فارس الفرسان وقائد الشجعان في ساحة الوغى كما كان بطل الميدان في مجال البيان . ولهذا كان عندما يلتقط أنفاسه من شدة القتال يجمع إليه العلماء والشعراء والأدباء ذاكراً فضلهم مشيداً بقدرهم ،

مثيراً لعبقرياتهم مستمعاً لقصائد الشعراء مصغياً لآراء الأدباء ، مبدياً وجهات نظره فيما يحدث أمامه من مساجلات . ومن وحي هذا المجد أفادت حلب طوق الخلد ونفثت نهضة علمية وأدبية لم تشهد لها نظيراً من قبل . فأخذت تدل في برود العز وتختال ، وحظيت بكوكبة لامعة من صفوة شعراء ذاك العصر . وهؤلاء جميعاً جديرون بالبحث حريون بالدراسة . ولكن إذا استثنينا من فرسان هذه الحلبة أبا الطيب المتنبي وأبا فراس الحمداني فاننا نجد لكل من الشعراء السيفيين كالصنوبري وكشاجم والسري الرفّاء وابن نباتة السعدي والوأواء والببغاء والخالديين وغيرهم نصيباً من الإهمال التام عند قدامى الباحثين الذين شغلوا بأبي الطيب المتنبي الذي ملأ الدنيا وشغل الناس .

ومن المقطوع به أن يتيمة الدهر للثعالبي تعد من أهم المراجع التي تناولت بالبحث والدراسة شعراء الندوة السيفية من حيث أشعارهم ، وإن كان هذا السفر الهام قد أغفل الترجمة لحياة هؤلاء الشعراء والتعريف بآثارهم وذكر أخبارهم مكتفياً بايراد ما اختار من أشعارهم والتقديم لها باللغة المسجوعة مع إيراد نبذ قصيرة لا تبلُّ أواماً ولا تشفي غليلاً .

أما بقية المصادر القديمة التي كتبت عن الشعراء بإفاضة أو بايجاز كمعجم الشعراء للمرزباني والمؤتلف والمختلف للآمدي والفهرست لابن النديم وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، والمنتظم لابن الجوزي ، وغيرها من كبرى المصادر فانها سارت على سنن اليتيمة في إغفال الترجمة الوافية لهؤلاء الشعراء الأفذاذ والاكتفاء بإيراد نتف من أخبارهم الموجزة المنقولة غالباً عن اليتيمة .

ولقد تطرقت بعض الدراسات الحديثة للشعر الحمداني ومن هذا القبيل كتاب (الشعر في ظل سيف الدولة) لدرويش الجندي وهو دراسة موجزة

تناولت جانباً محدوداً وأشعاراً بعينها دون التعرض للشعراء بالدراسة والترجمة والتحليل ، وهي مناسبة لحجمها وطبيعتها .

والكتاب الآخر الذي تطرق للشعر الحمداني هو كتاب الأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة (فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين) وهو كتاب قيم أفدت منه كثيراً إلاّ أنه مع أهميته وقيمته العلمية كتاب عام ، وقد كان منهجه متوجهاً إلى دراسة مجتمع الحمدانيين وفنون الشعر دون تناول حياة الشعراء بالترجمة والتحليل .

أما الأستاذ محمد كرد علي فقد جمع شعراء القرن الرابع الهجري في الشام ومنهم شعراء الندوة السيفية في الجزء الرابع من كتابه خطط الشام وذكر أسماء هؤلاء الشعراء . وكان هذا الكتاب من مراجع دراستي التي أفدت منها .

وفي مراجع الأدب العام التي عرضت للبحث في أدب القرن الرابع الهجري من مثل كتاب تاريخ الأدب العربي لبروكلمان وكتاب تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان وكتاب أدباء العرب لبطرس البستاني وغيرها وردت بعض الشذرات عن حياة هؤلاء الشعراء الأفذاذ واكتفى في الأغلب بالإشارة والإلماع دون البحث والتفصيل .

وقد كان دأبي منصباً على البحث عن دواوين الشعر ومصادر الأدب سواء المخطوطة منها أو المطبوعة التي تضمنت شعر هؤلاء الشعراء .

كما رجعت إلى كتب السير والتاريخ والتراجم كمعجم الأدباء لياقوت ووفيات الأعيان لابن خلكان ومعجم الشعراء للمرزباني كما اطلعت على كتب الجغرافية والبلدان والأديار كمعجم البلدان لياقوت ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمري والديارات للشابشتي وغيرها . وقد أفدت كثيراً من

كتب التاريخ وأهمها : تاريخ الطبري ، ومروج المسعودي ، وتاريخ بغداد ، والكامل لابن الأثير ، وتجارب الأمم لابن مسكويه وزبدة الحلب في تاريخ حلب ، وبغية الطلب من أخبار حلب لابن العديم ، والأنساب للسمعاني وغير ذلك كثير .

وتمكنت بفضل من الله أن أحصل على كثير من النصوص الشعرية التي لم تنشر وساعـــدني ذلك على تقديم دراسة مستفيضة عن شعراء الندوة السيفية وقد اعتمدت في ذلك على دراسة أشعارهم واتباع المنهج العلمي القائم على البحث والدرس والموازنة والتحليل والتعليل .

وتحدثت عن الأغراض الشعرية التي لمع سناها في تلك البيئة سواء الأغراض التقليدية أو الأغراض الحديثة . وتوصلت الدراسة في هذا الصدد إلى تحديد ملامح الجِدَّة ورسم معالمها وإبراز السمات الفاصلة في هذا الشأن .

وأسأل الله سبحانه التوفيق والسداد.وأن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه فبالله التوفيق ومنه العون والحمد لله أولاً وآخراً .

دكتور سعود محمود عبد الجابر